

## شخصية مبادرة

محمد بن عبد الله الفريخ - كاتب ومفكر

malfriah@obeikan.com.sa

@malfriah

f



في إحدى أمسيات شهر ديسمبر عام 1955 الباردة جمعت (روزا باركس) ذات البشرة السمراء التي تعمل خياطة حاجاتها، وتجهزت للعودة إلى بيتها بعد يوم من العمل الشاق المصني، مشيت روزا في الشارع تحتضن حقيبتها مستمدة منها بعض الدفء اللذيذ.

التفتت (روزا) يئمة ويسرة، ثم عبرت الطريق، ووقفت تنتظر الحافلة؛ كي تلتها إلى وجهتها، وفي أثناء وقوفها الذي استمر عشر دقائق كانت تشاهد في ألم منظرًا مألوفًا في أمريكا آنذاك، وهو قيام الرجل الأسود من كرسيه؛ ليجلس مكانه رجل أبيض.

لم يكن هذا السلوك وقتها نابعًا من روح أخوية، أو لمسة حضارية، بل إن القانون الأمريكي آنذاك كان يمنع منعًا باتًا جلوس الرجل الأسود، وسيداه الأبيض واقف، حتى إن كانت الجالسة امرأة سوداء عجوزًا، وكان الواقف شابًا أبيض في عنفوان شبابه، فتلك مخالفة تُعرم عليها المرأة العجوز.



روزا باركس

وكان مشهورًا وقتها أن تجد لوحة معلقة على باب أحد المحال التجارية أو المطاعم مكتوبًا عليها: (ممنوع دخول القتل والكلاب والرجل الأسود).

كل تلك الممارسات العنصرية كانت تصيب (روزا) بحالة من الحزن والألم والغضب، فإلى متى يعاملون على هذا النحو من الدونية وقلة المكانة؟! لماذا يُحرقون، ويُزدرون، ويكفون دائمًا في آخر الصفوف، ويصنفون مع الحيوانات؟ وعندما وقفت الحافلة استقلتها (روزا)، وقد أبرمت في صدرها أمرًا.

قلبت بصرها يئمة ويسرة، فما أن وجدت مقعدًا خاليًا، حتى ارتمت عليه، وقد ضمت حقيبتها إلى صدرها، وجلست تراقب الطريق الذي تأكله الحافلة في هدوء، إلى أن جاءت المحطة المقبلة، وصعد الركاب، وإذا بالحافلة ممتلئة، وبهدوء اتجه رجل أبيض إلى حيث تجلس (روزا) منتظرًا أن تقسح له المجال، لكنها وبيا للعجب نظرت إليه غير مبالية، وعادت لتطالع الطريق مرة أخرى!

ثارت ثائرة الرجل الأبيض، وأخذ الركاب البيض يسبون (روزا) ويتوعدها إن لم تقم من فورها، وتجلس الرجل الأبيض الواقف.

لكنها أبت، وأصرت على موقفها، فما كان من سائق الحافلة أمام هذا الخرق الواضح للقانون إلا أن يتجه مباشرة إلى الشرطة؛ كي تحقق مع تلك المرأة السوداء التي أزعت السادة البيض!

وبالفعل تم التحقيق معها وتغريمها خمسة عشر دولارًا، نظير تعديها على حقوق الآخرين.

وهنا انطلقت الشرارة في سماء أمريكا، فتارت ثائرة السود في جميع الولايات، وقرروا مقاطعة وسائل المواصلات، والمطالبة بحقوقهم بوصفهم بشرًا، لهم حق الحياة والمعاملة الكريمة.

استمرت حالة الغليان مدة طويلة، امتدت إلى 381 يومًا، وأصاب أمريكا بصداق مزم.

وفي النهاية خرجت المحكمة بحكمها الذي نصر (روزا باركس) في محنتها، وتم إلغاء ذلك العرف الجائر وكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

وفي 27 أكتوبر عام 2001، بعد مرور 46 سنة على هذه الحادثة، تم إحياء ذكراها في التاريخ الأمريكي، حيث

أعلن السيد ستيف هامب، مدير متحف هنري فورد في مدينة ديربورن في ميتشيجن عن شراء الحافلة القديمة المهترئة من موديل الأربعينيات التي وقعت فيها حادثة السيدة (روزا باركس) التي قدحت الزناد الذي دفع حركة الحقوق المدنية في أمريكا للاستيقاظ، بحيث تعدل وضع السود.

وقد تم شراء الحافلة بمبلغ 492 ألف دولار أمريكي. وبعد أن بلغت (روزا باركس) الثمانين من العمر، تذكر في كتاب صدر لها لاحقًا بعنوان «القوة الهادئة» عام 1994 بعض ما اعتمل في مشاعرها آنذاك، فتقول: «في ذلك اليوم تذكرت أجدادي وآبائي، والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها المستضعفين».

وفي 24 أكتوبر عام 2005 احتشد الآلاف من المشيعين الذين تجمعوا للمشاركة في جنازة (روزا باركس) رائدة الحقوق المدنية الأمريكية التي توفيت عن عمر يناهز 92 عامًا.

يوم بكى فيه الآلاف، وحضره رؤساء دول، ونكس فيه علم أمريكا، وتم تكريمها بأن رقد جثمانها في أحد مباني الكونجرس، وهو إجراء تكريمي لا يحظى به سوى الرؤساء والوجوه البارزة.

ولم يحظ بهذا الإجراء سوى 30 شخصًا منذ عام 1852، ولم يكن منهم امرأة واحدة.

ماتت (روزا) وعلى صدرها أعلى الأوسمة، فقد حصلت على الوسام الرئاسي للحرية عام 1996، والوسام الذهبي للكونجرس عام 1999، وهو أعلى تكريم مدني في البلاد. وفوق هذا وسام الحرية الذي أهدته لكل بني جنسها عبر كلمة: (لا) أشهر (لا) في تاريخ أمريكا.

تدبر: كل حدث تاريخي جليل، وكل موقف كبير مشرف، كان وراءه شخصية مبادرة تؤمن بقدرتها على قهر ما اصطاح الناس على تسميته (المستحيل)، فكيف يصبح المرء منا شخصية مبادرة؟ كيف يمكن أن نصنع بأيدنا العالم الذي نحيا فيه؟

## أسئلة الكتابة: كتابة الحياة وكتابة العدم

شكري معمر علي - الجزائر

مغمورة تشعل ثورة ويفضلها يتحرر العبيد، رواية تدفع إلى الحرية والإنعتاق ورواية (الشيخ والبحر) للكاتب الأمريكي أرنت همنجواي يقرأها الرئيس الكوبي (فيدال كاسترو) فيقاوم، رواية تحدي الصعاب ومقاومة القهر والتشبث بالأمل في دماسة الليالي.

وهناك الكتابة اللامرئية وندخل ضمنها هاته الكتابات العابرة الباهتة «هل نكتب وفقًا لمبدأ العرض والطلب فنسقط في العبودية المقننة والبذاة اللفظية والتبسيط الممل فتفقد الكتابة عنفوانها وينطمس رونقها وتتحسر دلالتها حتى تلامس مراتب العدم».

✽ الكتابة الكونية:

أنا لا أتصور الكاتب مهما كانت عقيدته وديانته إلا كاتبًا كونيًا حتى لو انطلق من بيئته الصغيرة، هناك قيم إنسانية جوهرية يدافع عنها باستماتة: قيم الخير والعدل والجمال كما قلت سابقًا، فالكاتب الحقيقي هو الذي يفتح على الآخر ويدافع عن الإنسان مهما كان لونه وجنسه، وأنا عندما أتأمل في قوله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُوعًا وَقَبَائِلَ لِيَعَارَفُوا) أسأله أليس هدف الكاتب هو التعارف الإنساني وكيف يصل إلى هذا التعارف وعن أي طريق؟ لتتصور الكاتب العربي المسلم يريد أن يتعارف مع أمريكي، إن أفضل وسيلة للتعارف هو أن يتقن لغته ويعرف ثقافته وحضارته والعكس صحيح.

من هنا نعلم أن في ثقافتنا العربية الإسلامية دعوة للحوار الثقافي والديني والجدال بالتي هي أحسن وليس بالتي هي أحسن «التطرف بكل أنواعه» وهي دعوة تفند أفكار بعض منظري الحروب والدمار (صمويل هنتجتون) صاحب نظرية (صدام الحضارات).

✽ من أجل إعادة النظر في مسألة الكتابة الجزائرية:

قد يستغرب القارئ من هذا الطرح لكن الواقع يفرض ذلك، هزال الإبداع الجزائري ورياءته وغيبابه عن الساحة الإبداعية العربية والعالمية، ما هو السبب؟ إنني متيقن بعد متابعة سنوات طويلة للإبداع العربي أن السبب الرئيسي هو غربة الكاتب، الكاتب الجزائري يكتب لقارئ غير جزائري «لا يدرس الكاتب ميولات القارئ ورغباته أي يقوم بدراسة نفسية واجتماعية لهذا القارئ» فالكاتب الذي لا يطرح على نفسه هذه الأسئلة: لمن أكتب؟ وكيف أكتب؟ هو كاتب فاشل فالكاتب العالميون يضعون في الحسبان القارئ

فيستعملون معه أحسن الطرق والأساليب فلا نتعجب إذن إذا وجدنا في أمريكا معهدًا وطنيًا لتكوين الأدباء، يتعلمون فيه أفضل التقنيات وأحدثها، وهذا أمبيرتو إيكو

أسئلة الكتابة: كتابة الحياة وكتابة العدم ✽ المشتغلون بالأدب يثيرون بين الفينة والأخرى أسئلة حول الكتابة والهوية، ومن أسئلة الكتابة الجوهرية قدرتها على التواصل والتوصيل، التواصل عن طريق الأفكار التي يطرحها الكاتب وتوصيل رسالة معينة إلى قارئ ما وأجمل التواصل بين الأصدقاء هو التواصل عبر الكتابة فيشعر الكاتب بسعادة غامرة عندما يجد قارئًا في بقعة من البقاع يتواصل معه ويناقشه ويحاوره والكتابة في أقصى مداها هي التي لها حظ من الوعي، التي تؤدي إلى المعرفة، يقول الدكتور (عمر مهبل) في كتابه القيم (من النسق إلى الذات قراءات في الفكر الغربي المعاصر):

«إننا نباشر الكتابة ليس بمقتضى قانون العرض والطلب هذا ولكن باعتبارها هما أبدًا ونهما لا يروى كما ذكرت سابقًا، نباشر الكتابة بوصفها تحقيقًا لوجود طبيعي وتصورًا عقليًا وأعيًا أيضًا هذا النمط من الكتابة أسميه» الكتابة المرئية «وهي الكتابة التي ينطلق فيها شعاع الوعي من الذات إلى البنية الطبيعية والعكس أي أن الكتابة تكون بمثابة اختراق مزدوجة للبنية وللمخيلة في آن واحد فتحصل الكتابة بالمعنى المرئي وهي ليست إلا الكتابة المؤدية إلى المعرفة الدلالية الإرادية والواعية» الكتابة الخالدة التي تحدث الأزمنة وواجهت كل الإشكاليات والتهم هي هذه الكتابة المرئية.

فأبو حيان التوحيدي الذي عاش الفقر وأكل الحشيش وأحرق كتبه في لحظة ألم لم يكن يعلم أن كل أغنياء عصره سيساهم التاريخ ويبقى هو صفحة مشرقة في سجل الإنسانية لأنه كتب بصدق بعيدًا عن الأطماع والحسابات والمصالح.

وأبو العلاء المعري «رهبين المحبسين» في سجنه الاختياري أطلق العنان لخياله فأبدع (رسالة الغفران) التي تأثر بها دانتي Dante alighieri فألف كتابه (ladvina comedia) الملهاة الإلهية.

عندما نتأمل كتابات أدبائنا نسأله أسئلة بريئة: ماذا تضيف إلينا؟ هل تخرجنا من الأزقة الموحلة إلى رحابة الإنسانية؟، من ضيق المكان إلى سعة الدنيا؟ هل تدفعنا إلى مطاردة المعرفة والبحث عن كنه الأشياء؟ أنا أسأله كقارئ قبل أن أكون كاتبًا من كتاب الهامش يؤمن بقيم الخير والعدل والجمال بعيدًا عن التعصب الفكري والانغلاق والتحزب، ماذا تضيف لي رواية كاتب مفعمة بالجنس «كتابة إروتكية» إباحية بدعوى الرواية الجديدة وفي المقابل أقرأ أن رواية (الكوخ عم توم) لكاتبة أمريكية



بعد عشرين عامًا من نشر روايته الشهيرة «اسم الورد» نشر روايته الجديدة «baudilino» فيقول إيكو: «أنه غير من أسلوبه في هذه الرواية إلى الأسلوب الشعبي» هل فكر كتابنا في تغيير الأسلوب والأفكار فالكتابة علم قبل أن تكون موهبة «ولعل كتاب الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا» (jacques derrida) علم الكتابة delagrammatologie «هو من أطرف الكتب في الفكر الغربي المعاصر التي طرحت علاقة الكتابة بالكلام أو اللفظ وأيهما أكثر تأثيرًا في الآخر» وقد أكد الكاتب رابح خيدوسي: «أن الرواية الجزائرية من حيث الموضوع لم تصل بعد إلى قمة نضج الرواية الإنسانية المواكبة حضارياً إذ يقول: غالباً ما نجد روايات يسقط في فخ إيديولوجي فمرة تجدها تقدر الثورة، القوة على حساب العقل والحرية ومرة أخرى تشيد اتجاه حزبي يساري وأخرى تفرق في الذاتية الرومانسية وأخرى رواية استعراضية تقريرية» وقد صدق عمر مهبل عندما دعا إلى نمط كتابي جديد فهو يقول في نفس المرجع:

«فإن التجربة بينت لنا انه يتحتم علينا في زمن التقاطع هذا أن نبلور نمطاً كتابياً جديداً يتعدى الكتابات الساذجة التي هي أقرب ما تكون إلى السجال الإيديولوجي ونمط يتعدى الكتابات التي تحاول اختزالنا في رموز لغوية منتظمة في قواعد رياضية كما يتعدى الكتابات التي تجعلنا نسبح في عالم الميثولوجيا والأوهام لنصل إلى نمط جديد أسميه (الكتابة المتدفقة).

ختاماً فهذه دعوة إلى كتابنا أن يراجعوا أفكارهم وكتاباتهم، أن يفتحوا نقاشاً فكرياً حول موضوع الكتابة، فليست الكتابة عبثاً ولا نزوات عابرة، إنها لحظة وعي واحتراق واختراق إنها مرآة لتجميع قوارب الرحلة وبسط شراعاتها المطوية مع ما في ذلك من مجازفة، إنها مغامرة غير مضمونة النتائج كما يراها المرحوم بختي بن عودة.

هوامش:

(1) من النسق إلى الذات:

قراءات في الفكر الغربي المعاصر ص 14

مشورات الاختلاف

(2) جريدة أخبار الأدب ص 13 يناير 2002

العدد 444

(3) من النسق إلى الذات ص 13

(4) ملحق جريدة أخبار (الأخبار الثقافية) ص 12

العدد 06 مقال (واقع الرواية) لحسينة . ع

(5) من النسق إلى الذات



## أنا لست «شخصاً»

الكاتبة: غادة عبد الله العمودي

galamoudi@gmail.com

من أهم الأسئلة التي ينبغي أن يوجه لها الاهتمام في كل مرحلة حضارية يعيشها الإنسان، هي الأسئلة المتعلقة بالذات الإنسانية. إن الإنسان بوصفه "ذاتاً" و"معنى" يظل إشكالية لا تفتني لتداول الأفكار وإثارة القضايا حوله. إن بحث الإنسان في ذاته يأتي نتيجة خصيصته الفريدة، فالإنسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يحاول أن "يعي" ذاته، أي أن "الوعي" بأن الإنسان يحيا ويعيش ويعرف ببصيرته أنه يحيا ويعيش، يجعل الإنسان يتخذ من ذاته موضوع أبحاثه أو أحكامه، وبهذا يمكنه أن يرفع إدراكه وشعوره من مستوى الحياة البدائية إلى مستوى "المعاني"، متجاوزاً "ذاته" في أعماله، من هنا يكتسب الإنسان كرامته وامتيازته. إن ركوب الرحلة باتجاه "ذاتنا" لهو من أمتع الأنشطة التي يمكن أن نقوم بها في حياتنا! وحين يتوقف السؤال حول الإنسان أو عنه، فإن مسيرة الوجود تكون قد وصلت إلى نفق مظلم يستحيل معه تجديد الحياة، لأن الحياة معنية بالدرجة الأولى بغايتها وهي الوجود الإنساني.

في معناها العميق هي: إمكانية الفعل في محيط مفروض علينا للوصول إلى هدف محدد نطمح إليه. لذلك يختلف ويتعدد أفق الحرية بحسب الظروف الموجود فيه الإنسان، وبمعنى أدق بحسب شخصيته، فهناك حرية الكاتب، وحرية السجين، وحرية العمال، وحرية الشعوب المستعمرة. والغريب أن هذا البناء للشخصية يأتي نتيجة غير مقصودة، فالقانون الوحيد للشخصية هو التغيير والتشكل والفرز والبناء بفعل تغير الظروف المؤثرة فيها. ومن هنا يتضح لنا خطأ أن نطلق أحكاماً عامة وتامة وأبدية على شخصية الإنسان، نعم قد نقوم سلوكه في مرحلة معينة، وداخل لحظة زمنية محددة، ووفق ظروف موقوتة، ولكن من الخطأ أن يمتد هذا الحكم على طول عمر الإنسان أو أن يصبح ثيمة نهائية له. إذ من غير المنطقي أن تطلب من الشخص أن يكون له موقف واحد ثابت على الدوام، لأن في ذلك استخفافاً بكتافة وجوده وغنى تحولاته، فالشخص ذو الموقف الواحد هو الذي لم يتشخص بعد، أي أنه رضي أن يكون كائناً، والكيونة هي رتبة سابقة على التشخص، ومن يرضى أن يظل كائناً فإنه يكون إما جباناً أو مفلساً من فعل التحدي ومجاهدة التجديد. وكلما اتسع الأفق المجتمعي بمكتسبات جديدة نمت الحياة النفسية والحياة العقلية، شريطة أن يكون ولذلك فإن من خصائص الجاهلية (أي عدم وجود الإنسان في علاقات اجتماعية، ومع عدم خضوعه لقانون يقوم على القيم) أن تتلاشى الشخصية المستقلة للإنسان "الجاهلي"، حيث يذوب في المجموع، هذا المجموع قد يكون القبيلة أو العرق أو نحو ذلك، لأنه لا يملك شعوره الخاص بذاته، فهذا الشعور إنما ينبثق عن وجود منظم للتفاعل بينه وبين المؤثرات من حوله وهو ناتج عن إحساسه هو بذاته أولاً. أي أننا نخدم الجماعة بقدر ما نشعر بذاتنا لا العكس، ولهذا فمن الخطأ أو تقوم الأحزاب السياسية في عصرنا الحديث بديلاً عن القبيلة والعصبية العرقية في المجتمعات البدائية، حيث يفنى فيها الناخبون على

حساب وعيهم بذاتيتهم، ويظهر هذا الذوبان في التسليم الأعمى لقرارات الحزب حتى وإن كانت غير ذات جدوى دون وضعها على ميزان التحكيم العقلي. من هذا الفهم لتكوين الشخصية؛ فإننا نعتبر من الخطورة والخطأ معاً أن يتم إدراج اختبارات الشخصية في التقدم على الوظائف، حيث يتم الحكم على الإنسان حكماً جامداً يعطل قدرته على التغير والتجدد. إن مشكلتنا مع أنفسنا تظهر حين نود من هذا الجزء المتغير فينا أن يكون ثابتاً أو نهائياً، فهذا يخالف طبيعته ويخالف سنة التغير الكونية، لأن الشخص هو حصيلة شخصيات لا شخصية واحدة، طالما أن العلاقات الاجتماعية والسيكولوجية والتاريخية والثقافية التي تقصده؛ هي في تغير مستمر وتتخذ أحوالاً لا حصر لها. والشخصية ليست خليطة عالم الإنسان، والتشخص ليس نعمة وإنما هو نعمة وعلامة على الحيوية، والشخصية هي نواة "النفي" أو القدرة على قول "لا" التي يتميز بها النوع البشري عن غيره من الكائنات، فالشخصانية تبتدئ عندما يرفض الشخص الطاعة العمياء (طاعة الأشخاص وطاعة الأشياء)، ويعترف بالقيمة العليا للعقل والفكر، فالإنسان مخلوق حر وقادر على الرفض والتغيير، إذ بدون نفي ماهو موجود لا يمكن أن يحصل أي تغيير. إننا يمكن أن نعتبر الشخصية مثل اللوحة الزجاجية التي تتغير تبعاً لما ينعكس عليها من الألوان والأضواء والأشكال - لو تتبعنا كلمة شخص (persona) باللاتينية، نجد أنها تدل على القناع أو المظهر الجسماني الخارجي للإنسان، أو على شبحه الظاهر، أي ظلّه. أليست كلمة (persona)، بالنسبة للواقع إلا ظلاً له، ومجرد كائن مسرحي مقنع (أحياناً بقناع المأساة، وأحياناً بقناع المهزلة)؟ ثم صارت تدل منذ عهد (شيشرون) على "الدور" الذي يلعبه الإنسان المقنع في التمثيلية - مما يدل على الطابع المتغير والمتحرك للشخصية. هذا الفهم لوجود خارجي للشخصية يمكننا من ملاحظة التغير وتصحيحه وتعديله حسب مقتضى الأمر. ولأنه لا بد

من وجود تفاعل يكشفه هذا اللوح الزجاجي، ولأن هذا التفاعل يحتاج إلى سيطرة، فإن عنصر السيطرة يكمن في "النفس". فالنفس هي مجمع القوى في الكلّ الإنساني. ففيها قوى الروح والعقل والقلب والجسد، لذلك فإن قدرتها في السيطرة على توازن هذه القوى؛ أساسي لا مجال لعرقلة مدة معيشة الإنسان على الأرض. وإلى هذه "النفس" كانت تتوجه الديانات السماوية والوصايا الإلهية ونظريات التربية والتعليم، لأن "النفس" بما تحمله من قدرات وتمارسه من حقها في الاختيار؛ هي التي تحدد الملامح العامة للشخصية الإنسانية، وترسم طريقة الحياة على الأرض. كما أن وجود النفس هو الضامن الذي يحفظ لنا: أولاً: الهوية الإنسانية؛ لأن الشخصانية هي تقوقع داخل الذات وتجاوز هذا الحيز الضيق إنما يكون عبر الامتداد الذي تمنحنا إياه الإنسانية والتي هي سمو النفس. ثانياً: الاتزان والاتساع؛ حيث تصبح همومنا الخاصة هي نفسها أهداف النوع العام، فنرتقي إلى مثال الإنسان المنفتح الفاعل في الحياة، إذ نخرج من ثنائية البطل والضحية، ونعيش التوازن. إن إدراك الحد الفاصل بين "الشخصية" و"النفس" تتبدى أهميته عند حدوث انكسار في الشخصية نتيجة الاصطدام بعراض في المحيط والحياة، إن ما ينكسر ويتأثر هو الشخصية وليس النفس الإنسانية، لذا فإن من الممكن ترميمه أو إصلاحه واستبداله. إننا نخطئ حين نظن أن أرواحنا وأنفسنا تعاني - من أكثر العبارات سلبية أن نصف أرواحنا بأنها تتعذب -! مما ينتج عنه انتكاسات قوية في أدائنا الحياتي واستجابتنا للمؤثرات، حيث أننا نقع صرعى الوهم! والحقيقة أننا نظل قادرين على استبدال لوح الزجاج مادامت القوة موجودة، وهي "النفس"، وقوتها أن تستمر في التفاعل مع المؤثرات وفعاليتها مع الأحداث، ولعل هذا يشرح لنا النصيحة القائلة أنك حين تخرج نفسك من المشكلة فإنك ترى

من وجود تفاعل يكشفه هذا اللوح الزجاجي، ولأن هذا التفاعل يحتاج إلى سيطرة، فإن عنصر السيطرة يكمن في "النفس". فالنفس هي مجمع القوى في الكلّ الإنساني. ففيها قوى الروح والعقل والقلب والجسد، لذلك فإن قدرتها في السيطرة على توازن هذه القوى؛ أساسي لا مجال لعرقلة مدة معيشة الإنسان على الأرض. وإلى هذه "النفس" كانت تتوجه الديانات السماوية والوصايا الإلهية ونظريات التربية والتعليم، لأن "النفس" بما تحمله من قدرات وتمارسه من حقها في الاختيار؛ هي التي تحدد الملامح العامة للشخصية الإنسانية، وترسم طريقة الحياة على الأرض. كما أن وجود النفس هو الضامن الذي يحفظ لنا: أولاً: الهوية الإنسانية؛ لأن الشخصانية هي تقوقع داخل الذات وتجاوز هذا الحيز الضيق إنما يكون عبر الامتداد الذي تمنحنا إياه الإنسانية والتي هي سمو النفس. ثانياً: الاتزان والاتساع؛ حيث تصبح همومنا الخاصة هي نفسها أهداف النوع العام، فنرتقي إلى مثال الإنسان المنفتح الفاعل في الحياة، إذ نخرج من ثنائية البطل والضحية، ونعيش التوازن. إن إدراك الحد الفاصل بين "الشخصية" و"النفس" تتبدى أهميته عند حدوث انكسار في الشخصية نتيجة الاصطدام بعراض في المحيط والحياة، إن ما ينكسر ويتأثر هو الشخصية وليس النفس الإنسانية، لذا فإن من الممكن ترميمه أو إصلاحه واستبداله. إننا نخطئ حين نظن أن أرواحنا وأنفسنا تعاني - من أكثر العبارات سلبية أن نصف أرواحنا بأنها تتعذب -! مما ينتج عنه انتكاسات قوية في أدائنا الحياتي واستجابتنا للمؤثرات، حيث أننا نقع صرعى الوهم! والحقيقة أننا نظل قادرين على استبدال لوح الزجاج مادامت القوة موجودة، وهي "النفس"، وقوتها أن تستمر في التفاعل مع المؤثرات وفعاليتها مع الأحداث، ولعل هذا يشرح لنا النصيحة القائلة أنك حين تخرج نفسك من المشكلة فإنك ترى

- قراءة المزيد حول تطورنا من "الكائن" إلى "الشخص" يمكن قراءة كتاب: دراسات في الشخصية الواقعية - من الكائن إلى الشخص، تأليف محمد عزيز الحبابي، طبعة دار المعارف بمصر.
- الشخصية الإسلامية، محمد عزيز الحبابي، مكتبة الدراسات الفلسفية، الطبعة الثانية، طبعة دار المعارف بمصر.



## نداء لأمة

ريم علي الحاجي محمد

إن نظرة خاطفة لأحوال المجتمع المحلي بصفة خاصة والأمة الإسلامية على وجه العموم كفيلا بأن نستشعر مدى خطورة ما يحدث حولنا من أزمات سياسية ثقافية دينية شأنها زعزعة الأمن الذاتي للنفس البشرية وجعلها تعيش في جو مشحون بالتوتر وفكر مشوش لا يتمكن من رؤية الحقيقة المغيبة بوضوح. وهذه الحالة ينعكس أثرها بشكل مباشر على البنية الرئيسية للمجتمع فهي تقصد أو بدون قصد تعتمد إلى تفسير روابط المجتمع وتفكيكه إلى أفراد متفرقين متباعدين، ولا يخفى علينا أن الفرد إن لم يكن متفاعلاً مع بقية الأفراد في المجتمع فلن يكون لوجوده تأثير ملحوظ، لأن الإتحاد مع بقية الأفراد ينتج عنه مجتمع مستقر متماسك قادر على مواجهة الصعاب. وقد يقول البعض أن هذا نتاج للمؤامرة الغربية والحرب التي يشنها علينا الكفار لتدمير الأمة الإسلامية وشغل أفرادها بتوافه الأمور وبخلافاتهم الداخلية وتبقي سيادة العالم لهم للأبد. ربما كان ذلك صحيحاً إلى حد ما في فترة من فترات الزمن التي مرت بها البشرية لكن الحقيقة وبصوت عالٍ أقولها: إن سبب التحلل الاجتماعي الذي نعيشه هو ضعف في بناء الفرد وتكوينه المعرفي والثقافي وضعف في قدرته على التمسك بمبادئ دينه. نعم ياسادة لقد كنا نحن أنفسنا معول الهدم الذي هدم أركان المجتمع على أفرادها كالتّي أنقضت غزلاًها. أيضاً نحن وللأسف الشديد لم نعد نبالي بالبناء فأجباننا الجديدة تنشأ وتترتب بطريقة أقرب للخطأ منها للصواب، بل خدرنا عقولهم بتلك الأجهزة التي أصبح يحملها الطفل ذو السنتين قبل الكبير، وإن كانت هذه البداية لكم أن تتخيلوا البقية، جيل غير مبال بشيء لا يعير الوقت والعلم والدين أي اهتمام. محصوله الديني صفر، فلا يعرف أبسط الأمور عن دينه ولا رغبة له في تحصيل العلوم والمعرفة، وإن تميز بشيء فهو السخط والتذمر والسخرية ورمي أسباب الفشل على غيره. هنا أسمح لي بالقول: إن لم تكلف أنفسنا عناء البناء لذواتنا فلا يحق لنا أن نقف ونقول لقد دمرنا الغرب فأنجدونا.



## مفهوم الإبداع

ريمه الخاني - سوريا



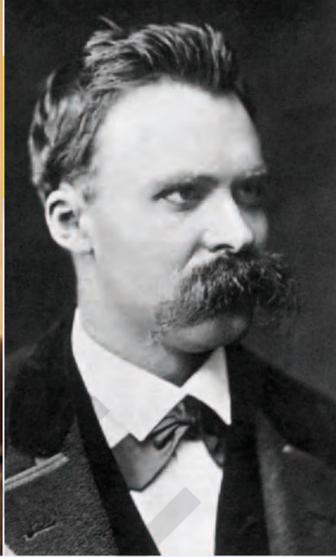
د. صالح الرحال



توني بوزان



جان بول سارتر



فريدريك نيتشه



د. حسين جمعة



ماريو فارغاس يوسا

1 - مفهوم الإبداع:

يحتوي مصطلح "إبداع" على أنواع وتفرعات عديدة، تضم مفاهيم كثيرة، تقدم لنا هذا المفهوم بطريقة موسعة ومهسية، ذلك لأنه عالم قائم بذاته بنماذجه الفريدة وعطائه اللامحدود، فله خصوصياته التي تجعله مصطلحاً يستأهل العناية والبحث العميق، والذي يحث فضولنا لمعرفة هذا العالم الجميل جداً والمتنوع بكل أركانه. وقد عرفه الباحثون بطرق شتى نظراً لمصدر انبثاقه فعرفه الأستاذ "رضوان الشهبان" بقوله: إن الجو الشعري مثلاً يتكون، مثله مثل كل الظواهر، من الطاقة الإبداعية التي نودعها في الفن، وهي عبارة عن شحنة انفعالية أساساً.<sup>1</sup>

ويمكننا تعريف الإبداع بقولنا: (الإبداع هو القدرة على تكوين أبنية أو تنظيمات جديدة).

وتعرف الأدبية والناقدة "فاطمة الشيدي" الإبداع: هو عملية ترجع في الحقيقة إلى عملية واعية يقصد إليها الشاعر، وهي نتاج عملية بين الذات وموضوعها.<sup>2</sup> والإبداع أيضاً: (مبادرة يديها الفرد؛ تتمثل في قدرته على التخلص من السياق العادي للتفكير، وإتباع نمط جديد من التفكير).<sup>3</sup>

يعرفه الأستاذ "أحمد المثنى أبو شكير": الإبداع: عملية ذهنية واعية قوامها مجموعة من البنى الفنية واللغوية، والتي تسهم في توليد الجديد من النصوص، فيأتي النص الجديد ليخترن خلاصة التجربة الإبداعية للمبدع الذي أنتج هذا النص، ويصبح هذا النتاج اللغوي والمعنوي من ملاكه الفكري الخاص.<sup>4</sup>

وكما نرى كان هذا التعريف شاملاً لعنصر التجديد والملكة الخاصة، والتي يتميز بها الإبداع عموماً. تعرفه الأستاذة شذى الميداني المرشدة النفسية السورية قائلة: (إنتاج الجديد النادر المختلف، المفيد فكرياً أو عملاً، وهو بذلك يعتمد على الإنجاز الملموس).<sup>5</sup>

وهو ذو صلة بالتعريف السابق لكنه أكثر اختصاراً، وإذن فكون إنتاجك مختلفاً يعد من صميم الإبداع، ومن سره الفريد المميز؛ الذي يميز صاحبه وعمله... لكن هل هذا يكفي لاستحقاق وصف (المبدع)؟

حقيقة من الصعب إيجاد تعريف واحد متفق عليه من قبل العلماء أو الفلاسفة للإبداع، فهو ظاهرة معقدة جداً

أو جملة معقدة من الظواهر ذات وجوه وأبعاد مختلفة.

يعرف بارثولت للإبداع-CREATIVITY- فقد عرفه بأنه التفكير المغامر الذي يتميز بترك الطريق المرسوم مسبقاً والتخلص من القوالب المصاغة، والإقبال على التجربة، وإتاحة الفرصة للشيء لكي يؤدي إلى غيره.<sup>6</sup> وتقول الأستاذة "لبنى العيسى"<sup>7</sup> حول سمات المبدع: إن العملية الإبداعية ليست منفصلة عن السمات العقلية والنفسية مثل الدافعية والمزاج والطبع والاستعداد والذكاء ومرورنة التفكير.. والمبدع ليس شخصاً ذو اختلاف نوعي عن غيره، بل يمكن النظر إليه بصفته فرداً يختلف عن غيره بمقدار انتظام وطاقته العقلية والنفسية بصورة تجعله قادراً على إبداع الجديد وتنميته (أكثر من غيره).

يقول حول العامل النفسي في الإبداع الأستاذ "محمد زاهر الشماع": إن العلاقة بين الأدب والتحليل النفسي يبين أن الحياة الإنسانية مزيج معقد من الوعي واللاوعي، وبينهما تكمن القوة العازلة، أي عامل الكبت، فإذا كانت الكلمة أداة التعبير عن الخبرة الواعية، فإن تحليل الخطاب هو معبر المحلل إلى مضمون اللاوعي.<sup>8</sup>

في معرض حديث المؤلفة "د. ماجدة حمودة"<sup>9</sup> عن الروائي: "ماريو فارغاس يوسا"، عرضت وجهة نظر الأدبية وهي جديرة بالتوقف؛ نختصرها هنا: إن مسيرة الإبداع هي مسيرة التعمق والصبر والتواضع، كانت نصائح للشباب المقبل على الأدب: من أراد الإبداع يجب ألا يكون الميل الأدبي لديه وسيلة لتزجية الفراغ فقط، بل هو عمل دؤوب أيضاً.

ما السبب الذي يجعل المبدع يعيش مثل هذه العبودية للكتابة إلى درجة يهيئها حياته كلها؟

إن السمة الأساسية للممارسة الأدبية أنها تمنح الكاتب متعة روحية داخلية، تهزل أمامها أية مكافأة مادية، إذ يشعر بانسجام مع ذاته، بعد أن تم له تحقيقها على المستوى الإبداعي، مما يدفعه إلى تقديم أفضل ما لديه دون الإحساس بالباثس بأنه يبذل حياته.

هو خيار فطري ذاتي مصاغاً منذ الطفولة أو الشباب المبكر، ثم يأتي الخيار العقلاني لتعزيره، وليس لصنعه من رأسه لأخصص قدميه.

لعل من أهم مشكلات الإبداع الروائي تلك العلاقة المتبسة بين الخيال والواقع، لهذا يبين "يوسا" أن الخيال يشكل ضرورة حيوية للروائي يفسح المجال لنسج حيوات

خيالية تعلن رفضها للحياة الواقعية وانتقادها لها.

2 - مفهوم الخيال الأدبي:

يحيا وينمو الأدب في عالم من الخيال بأنواعه، يحلق ويسافر في دهاليز النفس الإنسانية ويربطها بالعالم الخارجي، يقول "جان روبنسون" عن الخيال: إن الخيال الأدبي فرع خاص لملكة نفسية عامة جداً، لا ينفصل نشاطها عن نشاط الشعور، هو اختصاص الفلاسفة وعلماء النفس، أما النظرية الأدبية فقد استعانت في هذا المجال بمفهوم نشأ خارج نطاق الأدب لكنه ينسحب على قطاع واسع من الإنتاج الأدبي، ويقول في مكان آخر من كتابه: إن الأدب ما هو إلا ضرب من ضروب النشاط الخيالي، وما هو سوى قيمة عامة تشرح كيفية استخدام الإشارات اللفظية (المسموعة أو المنظورة) والاستعانة بالمتصور الذهني، ويستعمل كلاهما دون إحالة مباشرة إلى الواقع التجريبي بغية الوصول إلى المتعة الجمالية.<sup>10</sup>

يقول رايان الفرنسي عن الخيال: كثيراً ما يأخذون العبقرية على أنها ثمرة من ثمار الخيال الصرف، مثل هذه الأعمال ينهض بها الكاتب التافه الذي استطاع أن يلم بالذوق الشائع بين الناس، لكن فولتير ومارمونتيل يريان أن الخيال موهبة ثمينة وأن الإلهام أقصى درجاته.<sup>11</sup>

وإن التخيل، كما يراه "يوسا" أكذوبة تخفي حقيقة عميقة، إنه الحياة التي لم تكن، والتي يتوق إليها المرء دون أن يحصل عليها، لهذا كان عليه اختلافاً.

ولو أردنا تعريف التخيل لوجدناه أنه الخداع باختصار، وكل رواية هي كذبة تحاول التظاهر بأنها حقيقة. أما الدافع للكتابة الروائية فهو التمرد المسالم.<sup>12</sup> من جهة أخرى تقدم الأستاذة: "زينبا ليلي"<sup>13</sup> مفهوم الإبداع من زاوية أخرى فتقول:

- التجديد هو رؤية الأمور بنظرة جديدة ومن زاوية جديد.

وهذا لا ينسف الأساسات، بل يقدم لها فروعاً جديدة لأنها تتعلق بالسلوك التطبيقي، لا بالأساس أصلاً، فالجديد في زمننا ما عاد موجوداً لأننا بنتنا نبيني فوق البناء الأول، وهنا يتبلور معنا الفرق بين: التغيير والتطوير والتجديد والحديث والتنمية... كلها تأخذ المفاهيم من زوايتها المعينة: فالحديث والتحسين يمضي بنفس المسار بإضافات بسيطة وإضاءات منيرة، بينما التطوير والتجديد، له فروعاً عديدة وكأننا نرتفع أفتقياً وعمودياً

في البناء.

تحدد غالباً المفاهيم بالغاية على ألا تكون مضرّة، بل تهدف للتنمية حصراً، لذا وفي عملنا عموماً كمتابعين لرسائل الدكتوراه، نعمل لإخراج مفاهيم جديدة مثل:

الفن المعرفي الإبداعي، فتحت هنا لم نصف جديداً بل مزجنا وقمنا زاوية جديدة للعمل والبحث، مثل الفن الإبداعي الطبي... الخ.. واللغة كذلك لا تتغير إنما تتغير الأنماط الأدبية.. وهكذا، وعليه فإن الإبداع يعرف بالقدرة الخارقة التي يمتلكها المبدع، ويتوقف إظهار الفرد المالك للقدرة الإبداعية نتائج المالك للقدرة الإبداعية نتائج بداعية، أو عدم إظهارها يتوقف على صفة الأثرية والطبيعية.<sup>14</sup> ويضيف الدكتور حسين جمعة أيضاً للتعريف، أنه استجابة غير مألوفة لكل انفعال

ويعني آخر من العواطف الذاتية في البعد النفسي، تعد الأصل في إجراء التحولات الإبداعية على مختلف الصعد الفنية والثقافية والاجتماعية والزمانية والمكانية. وهذا يقارب تعريف الإبداع عند الدكتورة "نجاح هارون"<sup>15</sup> هو عبارة عن عدم النظر في الاصطلاح: إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجود والوجود.<sup>16</sup> فهل هذا يعني فعلاً التجديد؟

أما علم النفس الحديث فيعرفه بصورة مجسدة للذات المبدعة، فالتكوين النفسي وحده صانع الإبداع. وعليه فيعرف الشعر هنا بأثر اللاوعي في الإبداع<sup>17</sup>، ويعرفه السجلماسي: الشعر هو الكلام المخيل المؤلف من أقوال موزونة ومتساوية وعند العرب مقفأة<sup>18</sup>، وبكل الأحوال تعتبر المصطلحات الإبداعية من صميم العمل الإبداعي أيضاً، يسوقنا هذا الأمر لزواية أخرى هامة: جرى نقاشاً بيننا وبين الأستاذ "مصطفى إنشاصي"<sup>19</sup> حول الشعر والأدب والأبحاث، واجترار مواد لم يعد لها سوقاً ولا قراء، سواء بأفكارها أو بنوعيتها، وهنا يهمنا

رؤية الموضوع من زاوية أخرى لباحثين غير أدباء، يقول الباحث إنشاصي حول ذلك:

- أشيع العروض دراسة وبحاث وزيادة ونقصان قديماً وحاضراً في الماجستير والدكتوراه وو... رسائل بالهبل عن كل صغيرة وكبيرة، ويكاد لا يقدم أحد فيه جديداً هذا المقصد فلماذا الخلاف حوله؟<sup>20</sup>

الأمّة تحتاج لمن يحمل همها والشعر يمكنه أن يكون جزءاً من المعركة كشعر وليس كجدل حول العروض والقوافي والأوزان...!!!، فكان ردنا:

- نعم ما زلت أفجأ بقلة طلب المكاتب في بلادنا سوريا ولبنان حتى وفي مصر كذلك على الشعر ماذا يعني ذلك؟ هل بات لغة الغناء فقط؟، والأمّة ثمة من فيضانها بلا حاجة؟

هل هذا يحتاج نمطاً آخر من التجديد والتطوير وأنا ما زلتنا نجتري ما يمكن تطويره وتحويله للأفضل، وهل هي طريقة التفكير التي تحتاج لذلك أم الأنماط؟، وكيف؟

هل لهذا جذور واقعية غائبة عن مجال تفكيرنا؟، يقول الدكتور "محمد خير الدين عبد الرحمن": إن التعليم في أغلبية الدول العربية وبمراحله كافة، يتصف بتردي النوعية وافتقار الطلبة للمهارات الأساسية للتعليم الذاتي، وغياب النقد والإبداع وغياب التركيز المبرمج على فروع العلم والتقانة، وهذا يسبب تخريج ملايين العاطلين عن العمل، أو ما يعرف: بالبطالة الثقافية.<sup>21</sup>

وإذن؟ يقول الدكتور "بدر الدين عامود" عن الإبداع: هو الشكل الأكثر رقيماً وتعقيداً بين أشكال النشاط الإنساني والذي يتمثل نتاجه في الكشف عن حقائق لم تكن معروفة من قبل.<sup>22</sup>

لكن الدكتور صالح الرحال يعارضه في فريدة الإبداع قائلاً: لا توجد مادة مبدعة في العالم - وعبر تاريخ

